وبقي يهود خيبر على أرضهم حتى خلافة عمر بن الخطاب ، فلما رأى منهم الغدر ، حينما جرحوا (عبدالله بن عمر) قضى عليهم، وقيل إنه أراد أن ينفذ قولا ، سمعه من الرسول (ص) ، وهو « لا يجتمعن في جـزيرة العرب دينان» ، وامر بإجلائهم نهائياً من الحجاز .

الفصل الســادس
تعميم نشر الدعوة الإسلامية

إن الدعوة ، التي حمل محمد (ص) رسالتها ، وأمانة تبليغها ، لم تكـن قاصرة على العرب وحدهم ، وإنما كانت عامة ، للناس أجمعين. والقرآن الكريم يخاطب بآياته الناس ، دون تفريق ، أو تمييز : « هـذا بيان للنـاس وهـدى وموعظـة للمتقين » . « يا أيها الناس ، اتقوا ربكم ، الذي خلقكم من نفس واحدة» . «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيما » . « إن هو إلا ذكر للعـالمين » . « تبـارك الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا» . «وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون». « قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا » .

لهذا أفاد الرسول (ص) من الفرصة التي منحته إياها الهدنة مع قريش ، وقام بتبليغ رسالة الإسلام إلى ملوك الدول ، المجاورة لجزيرة

للعرب . والأمراء ، القريبين منه . وإذا كان المؤرخون قد اختلفوا في زمن مسير الموفدين بكتب الرسول ، وهل كان ذلك قبل غزوة خيبر أم بعدها ؟ فإنه مما لاخلاف عليه ان كتب الدعوة إلى الإسلام انطلق بها حملتها من عند الرسول (ص) . وقد أخبر محمد (ص) أصحابه بما سيقوم به من إبلاغ الملوك والأمراء بدعوة الإسلام ، وربما أراد بذلك أن يهيىء المسلمين لصراع مرتقب مع بعض هؤلاء الحكام ، ممن سيقابلون الدعوة بالحرب ، ووافق الصحابة رسولهم على ما أراد.

سار (دحية بن خليفة الكلبي) بكتاب محمد إلى هرقل ، قيصر الروم، وكان، حين حمل إليه الكتاب، في بلاد الشام ، بعد انتصاراته الواسعة على الفرس ، واستعادة ما كانوا قد استولوا عليه من أملاك الروم ، وقد جاء في الكتاب :

(بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد ، رسول الله ، إلى هرقل ، عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت، فإن عليك إثم الأرسيين (وهم أتباع القيصر من الفلاحين) . «يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله ، فإن تولوا ، فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» ، ولما سمع هرقل ترجمة كتاب النبي (ص) ، لم يغضب، بل أكرم حامله ورد عليه رداً جميلا ، جاء فيه :

(إلى أحمد ، رسول الله ، الذي بشر به عيسى . من قيصر ، ملك الروم : إنه جاءني كتابك مع رسولك ، وإني أشهد أنك رسول الله ، نجدك عندنا في الإنجيل ، بشرنا بك عيسى بن مريم ، وإني دعوت الروم أن يؤمنوا بك ، فأبوا . ولو أطاعوني لكان خيرا لهم ، ولوددت أني عندك ، فأحدثك ، واغسل قدميك) .

كذلك وجه الرسول (ص) ، إلى النجاش ، ملك الحبشة : خطابا حمله إليه (عمرو بن أمية) ، وجاء فيه :

« هذا كتاب من محمد ، النبي ، الى النجاش ، عظيم الحبشة ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، واشهد أن لا إله إلا الله ، وحده ، لا شريك له ، لم يتخذ صاحبه ، ولا ولدا ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الإسلام ، فإني رسول الله ، فأسلم تسلم : « يا أهل الكتاب ، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا . ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله ، فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » ، فإن أبيت ، فعليك إثم النصارى من قومك)

وقد رد النجاش ، على الرسول (ص) ، رداً جميلا جاء فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم . سلام عليك يا رسول الله ، من الله ، ورحمة الله وبركاته . لا إله إلا الذي هداني . أما بعد ، فقد أرسلت إليك ، يا رسول الله ، من كان عندي من أصحابك ، المهاجرين من مكة إلى بلادي ، وها أنا أرسل إليك ابني (أريحا) ، في ستين رجلا ، من أهل الحبشة ، وإن شئت أن آتيك بنفسي ، فعلت ، يا رسول الله : فإني أشهد أن

ماتقوله الحق ، والسلام عليك ، يارسول الله ، ورحمة الله وبركاته).

وكتب الرسول إلى (الحارث بن أبي شمس الغساني) ، صاحب دمشق ، كتاباً ، بعثه مع (شجاع بن وهب) جاء فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد ، رسول الله ، إلى (الحارث ابن أبي شمر) : سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله وصدق ، إني أدعوك إلى ان تؤمن بالله وحده لاشريك له ، يبقى لك ملكك) . فلما أتاه الكتاب ، قال: «من ينزع مني ملكي ، أنا سائر إليه (أي محاربه، ولم يسلم . فقال الرسول : « باد ، وباد ملكه) .

كذلك بعث الرسول (ص) (الحارث بن عمير الأزدي) بكتاب إلى صاحب بصرى ، فلما نزل مؤته (وهي قرية من قرى البلقاء فى حدود الشام) ، اعترضه (شرحبيل بن عمر الغساني) ، وقتله .

وحمل (حاطب بن أبي بلقعة) كتاب محمد (ص) إلى المقوقس ، عظيم القبط ، وحاكم مصر ، من قبل هرقل ، امبراطور الروم ، وجاء في هذا الكتاب :

(بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبدالله ورسوله ، إلى المقوقس ، عظيم القبط : سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت ، فعليك إثم القبط . « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله

obeikandl.com

فإن تولوا ، فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون» . فأحسن المقوقس استقبال رسول النبي ، وأجابه بقوله : «كنت أعلم أن نبياً قد بقي ، وكنت أظن أن مخرجه الشام . وهناك كانت تخرج الأنبياء من قبله ، فأراه قد خرج في العـرب ، في أرض جهد وبؤس ، والقبط لا تطاوعني في اتباعه ، ولا أحب أن يعلم بمحـاورتي إياك » . وبعث إلى النبي (ص) هدية مع جاريتين وبغلة بيضاء . وقد تزوج الرسول بإحدى الجاريتين ، وهي مارية القبطية ، التي ولدت له ابراهيم . اما الأخرى (سـيرين) فقد أهداها النبي (ص) لحسان بن ثابت . وقد ذكر أن المقوقس لم يعتنق الإسلام ، خشية ان يسلبه الروم حكم مصر .

لم يكتف الرسـول (ص) بالكتابة إلى هؤلاء الذين كانوا على النصرانية ، بل كتب ايضاً لمن كانوا على المجوسية ، أو الوثنية : فبعث إلى ملك الفرس ، (كسرى أبرويز) ، خطابا حمله إليه (عبدالله بن حذافة السهمي) ، وقد جاء فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد ، رسول الله ، الى كسرى ، عظيم فارس ، سلام على من اتبـع الهـدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشـهد ان لا إله إلا الله ، وحـده لا شـريك له ، وأن محمـداً عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله ، عز وجل ، فإني رسول الله إلى الناس كلهم ، لأنذر من كان حياً ، ويحق القول على الـكافرين . أسلم تسلم ، فإن توليت ، فعليك إثم المجوس .

فلما قريء الكتاب على كسرى ، غضب ومزقه ، وأرسل إلى

عامله على اليمن، وهو (باذان)، يأمره أن يبعث من يأتيه بهذا الرجل (اي الرسول ص)، وفعلا أرسل (باذان) رجلين، يستطلعان خبر محمد، واتصلا به، فطلب إليهما أن يحملا إلى (باذان) دعوته إليه للإسلام. وكان أن أسلم (باذان).. وانتشر الإسلام في اليمن، وألحقت هذه المنطقة بدولة الإسلام الناشئة.

ولما علم محمد (ص) بتمزيق كسرى كتابه إليه، قال: «مزق الله ملكه».

وكان من بين أمراء العرب، الذين أرسل إليهم الرسول كتباً، يدعوهم فيها إلى الإسلام (المنذر بن ساوى)، أمير البحرين، فقد بعث إليه الرسول كتاباً مع (العلاء الحضرمي). فكتب إليه (المنذر):
(أما بعد، يارسول الله، فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام، وأعجبه، ودخل فيه، ومنهم من كرهه. وبأرضي يهود ومجوس، فأحدث إلي في ذلك أمرك). فكتب إليه الرسول (ص):

(بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد، رسول الله، إلى المنذر بن ساوى: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله. الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، أما بعد: فإني أذكرك الله (عز وجل)، فإن من ينصح، فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي، ويتبع أمرهم، فقد أطاعني، ومن نصح لهم، فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم.

وإنك، مهما فعلت، نجزيك عن عملك . ومن أقام على مجوسـيته ، او يهوديته ، فعليه الجزية .)

وكتب الرسول إلى اميرى عمان (جيفر، وعباد ، ابنى الجلندي) كتاباً ،بعثه مع (عمرو بن السهمي) ، وجاء فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد ، عبدالله ورسوله، إلى جيفر وعباد، ابني الجلندي : سلام الله على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإني ادعوكما بدعاية الإسلام ، أسلماتسلما ، فإني رسول الله إلى الناس كافة ، لإنذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين . وإنكما إن أقررتما بالأسلام ، وليتكما ، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام ، فأن ملككما زائل عنكما ، وخيلي تحل بسـاحتكم ، وتظهر قوتي على ملككما » فأجاباه إلى الإسلام ، وصدقا بنبوته (عليه السلام) .

وسار (المهاجرين أمية المخزومي) بكتاب الرسول (ص) إلى الحارث الحميري، ملك اليمن ، فغضب ورد ردا قبيحا .

وسار (سليط بن عمرو) بالرسالة إلى حاكم اليمامة (هوذة بن علي الحنفي) ، فأظهر استعداده لقبول الإسلام ، لكنه كان يشترط تنصيبه حاكما ، ويساوم على ذلك ، فلعنه النبي ، لمطامعه الشخصية .

ولا ريب ان هذه الكتب ، التي وجهها الرسول (ص) إلى الملوك والأمراء، المعاصرين له ، توضح لنا سياسته في العمل على تعميم نشـر الدعوة الإسـلاميه ، كما تؤكد حرصه على تحقيق ماورد في القرآن الكريم من مطالبته الناس جميعا بالدخول في الأسلام .

لقد حدثت ، على حدود الشـام ، حوادث جعلت رسول الله

(ص) يلتفت نحو الشمال، ويوليه قدرا كبيراً من اهتمامه، حيث كان هذا الشمال هو طريق منطلق للدعوة وانتشارها، خارج جزيرة العرب أما تلك الحوادث، فهي: مقتل حامل رسالته إلى حاكم بصرى، ثم قتل بضعة عشر رجلا من المسلمين، كان قد أرسلهم إلى ذات الطلح، على حدود الشام، يدعون إلى الإسلام، فقتلوا، ولم ينج منهم إلا واحد فقط. ولهذا وجه الرسول (ص) عنايته إلى هذه المنطقة الشمالية، بعد أن كان قد أمن الجنوب، بصلحه مع قريش: فكـــان لابد من تأديب الأعراب، الذين غدروا بدعاة المسلمين، وتأديب الغساسـنة، الذين قتلوا حامل رسالته إلى بصرى.

جهز النبي (ص) حملة، قدرت بثلاثة آلاف مقاتل، بقيادة (زيد ابن حارثة)، وأمرهم، إن استشهد (زيد)، فأميرهم (جعفر بن أبي طالب)، فإن استشهد، فأميرهم (عبدالله بن رواحة). وخرج الجيش، ومعه (خالد بن الوليد)، وكان حديث الإسلام، فأراد ان يظهر حســن بلائه في سبيله. وودعهم الرسول (ص)، وأوصاهم الا يقتلوا النساء ولا الأطفال، ولا المكفوفين، والا يهدموا المنازل، ولا يقطعوا الأشجار.

وعندما وصلت قوات المسلمين منطقة معان، في بلاد الشام، كانت أنباء سيرهم إليها قد وصلت إلى الروم، فحشدوا قواتهم في منطقة (البلقاء (مواب))، وقد بلغ عدد هذه القوات مائة ألف جندي، ومعهم مثلهم من القبائل العربية، المحالفة للروم، يقودهم هرقل (وفي رواية أخرى أخوه، نيودور). وإذا كان هناك مبالغة في تقدير عدد أفراد هذه

القوات ، فأنه ، مما لاشك فيه ، ان العدد كان كبيرا ، ويبلغ أضعاف عدد رجال القوة الإسلامية . ولهذا تردد قادة المسلمين ، أمام هذا التفوق العددي ، ولكن حماس البعض دفع إلى خوض غمار المعركة ، حيث قال (عبدالله بن رواحة) : «فانطلقوا ، فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور ، وإما شهادة» . فوافقه القوم ، وزحفوا للقتال .

جرت المعركة بين قوتين غير متكافئتين ، عند قرية مؤته ، واستمات قادة الجيش ، فقتلوا ، الواحد تلو الآخر : زيد ، فجعفر ، فعبدالله . وتناول الراية (ثابت بن الأرقم) ، وصاح بالمسلمين أن يتفقوا على إمارة رجل منهم ، فتم الاتفاق بسرعة على (خالد بن الوليد) .

قدر (خالد) ظروف المعركة ، وإمكانيات المسلمين فيها ، وقرر الانسحاب لإنقاذ المسلمين من الموقف الحرج ، الذي تعرضوا له ، وأفاد من حلول الظلام ، وأعاد تنظيم قواته ، وألف قوة ، جعل منها مؤخرة ، لحماية الانسحاب . ونجحت هذه القوة في تأدية مهمتها ، بالانتشار على جبهة واسعة ، أحدثت ضجة ونشاطا كبيرين ، لإيهام العدو بوصول إمدادات جديدة ، ولتغطية عملية الانسحاب ، ومنع العدو من مطاردة الجيش المنسحب . وكانت هذه العملية هي التي أنقذت الجيش الإسلامي من فناء محقق ، وكارثة كبرى . ولم تكن الخسائر لتتجاوز اثنى عشر شهيدا وقد أوقع المسلمون بصفوف العدو خسائر أكثر من عددهم ، ولم تجرؤ قوات الروم على مطاردة المسلمين .

اعتبر بعض المسلمين ، في المدينة ، عودة الجيش ، بهذا الشكل ، فرارا ، ولهذا هتف بعضهم في وجوه العائدين : «يا فرار ، فررتم في سبيل

الله » . لكن الرسول أجاب هذا النفر من الناس بقوله : « إنهم ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار إن شاء الله » . وكان النبي (ص)، كقائد عسكري، يقدر اهمية سلامة الجيش ، في مثل ظروف معركة مؤته ، ولذلك اثنى ثناء عاطرا على (خالد)، لانسحابه الرائع .

ولما كانت بعض القبائل قد اشتركت مع الروم ، في حرب المسلمين ، يوم مؤته فقد ارسل الرسول (ص) (عمرو بن العاص)، لتأديب تلك القبائل، واستنفار القبائل، في شمالي الحجاز - وكانت أمه من تلك القبائل. وعندما وصل عمرو الى ماء ذات السلاسل ، طلب المدد من الرسول ، فأمده بقوة من كبار الصحابة ، (وبينهم أبو بكر وعمر) بقيادة (أبي عبيدة الجراح)، ووصاه الرسول ألا يختلف مع عمرو ، وعندما وصل أبو عبيدة ، حدث اختلاف على القيادة العامة، وقال عمرو . « هي لي ، وأنت إنما جئت مدداً » وكان موقف أبي عبيدة موقف الرجل، المطيع لأمر النبي (ص)، فقال : « ياعمرو ، إن رسول الله قال لي لا تختلفا . وإنك إن عصيتني أطعتك » . وفعلا، أطاع ابو عبيدة ، وخضع لقيادة عمرو ، الذي طارد بعض القبائل ، المحالفة للروم . وشتت شملها ، واعاد سمعة المسلمين وهيبتهم ، إلى ما كانت علية ، قبل حادثة موته .